مركز المسبار للدراسات والبحوث
Al Mesbar Studies & Research Centre

أزمات المسلمين الكبرى

التاريخ – الذاكرات – التوظيف

دراسة حالة: فلسطين، الويغور، الروهنجيا، الصراع في أفريقيا الوسطى

الكتـــاب 119 نوفمبر (تشرين الثاني) 2016

كتاب شهري يصدر عن مركز المسبار للدراسات والبحوث

الهويّات المتنافسة والتاريخ المهجّن للروهنجيين(*)

جاك ليدر (Jacques Leider)(**)
ترجمة: عمر الأيوبي(***)

اجتذبت موجات العنف والأعمال العدائية التي شملت المسلمين والبوذيين في ولاية راخين بميانمار[1]، في 2012 و2013 اهتماماً دولياً واسعاً. وأدّى العنف الطائفي إلى وفاة أكثر من (200) شخص، ونزوح أكثر من (130،000) نسمة، معظمهم من المسلمين، بالإضافة إلى تدمير المنازل.

(*) نقلت هذه الدراسة عن الإنجليزية (Competing Identities and the Hybridized History of the Rohingyas)، وهي مستلة من كتاب:
Metamorphosis: Studies in Social and Political Change in Myanmar, edited by: Egreteau, Renaud and Francois Robinne , Singapore: NUS Press, 151-78, 2015.

(**) مؤرخ فرنسي متخصص في تاريخ الروهنجيا، حصل على شهادة الدكتوراه من معهد اللغات والحضارات الشرقية (باريس) عن أطروحة:
«Le royaume d'Arakan (Birmanie) : son histoire politique entre le début du XVe et la fin du XVIIe siècle ».

(***) مترجم فلسطيني.

(1) كلمة «راخين»، وهي تهجئة اعتُمدت في أعقاب سنة 1991، اسم عرقي ويمكن استخدامه بمثابة نعت. وولاية راخين هي الاسم الرسمي لولاية في غرب ميانمار لا تزال تعرف في معظم كتب التاريخ باسم أراكان. وشعب الولاية راخينيون أو أراكانيون، وهم يشيرون إلى موطنهم باسم «راخين براي». وبما أن هذه المقالة تُعنى بالتاريخ على الأغلب، فسيستخدم اسم «أراكان» بسبب التلاؤم للإشارة إلى المملكة السابقة التي امتدّت أراضيها، في بعض الأحيان، إلى ما وراء حدود التقسيم الإداري الحالي بكثير، وإلى المقاطعة الاستعمارية، وولاية راخين الحالية. وقد اعتمدت منظمات الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية الدولية، التي تتعامل مع وضع المسلمين الروهنجيين، اسم ولاية راخين الشمالية (إن آر إس) للإشارة إلى المنطقة التي يشكّل فيها المسلمون غالبية السكان. وسيشار إلى غالبية شعب ميانمار باسم «البورميين».

كما أبرز التوتّرات الإثنية الدينية، والمشاكل الاجتماعية القاسية، والاستياء قديم العهد. وأظهر أيضاً، في السنتين الأخيرتين، المخاطر الملازمة للتحوّل السياسي للبلد، ما أطلق التوترات التي قمعها النظام الاستبدادي لمدّة عقود.

وقد ظلّ وصف هذه القضايا العرقية الدينية مفكّكاً وغير كامل؛ بسبب الافتقار إلى الدراسات التاريخية والسياسية والاجتماعية العميقة. وواجه من حاول التوصّل إلى فهم أفضل للصدامات الطائفية التي وقعت –أخيراً– في ولاية راخين، صعوبة في الحصول على معلومات موثوقة عن المنطقة الحدودية، التي يتقاسم فيها شعب متنوّع عرقياً ودينياً تاريخاً طويلاً ومعقّداً. من ناحية أخرى، فإن ندرة الأعمال المرجعية الأنثروبولوجية والتاريخية، سهّلت –نسبياً– تقديم المعتقدات الأثيرة إلى النفس بوصفها الحقيقة، والادّعاءات السياسية بوصفها حقائق تاريخية. وغالباً ما اعتُبرت التفسيرات البسيطة أدلّة كافية، حيث يُحتاج إلى فحص نقدي. ففي وسائل الإعلام العالمية –على سبيل المثال– اقتصر عرض الخلفية التاريخية عموماً على ملاحظات موجزة عن هروب المسلمين الجماعي –سابقاً– من أراكان إلى بنغلادش. هذه المقالة محاولة لسد الفراغ العلمي ولو جزئياً في هذا الجانب.

يلفت الانتباه إلى دور التاريخ وكتابة التاريخ الناقصة في التمثيل الراهن للصراع. وهي تدعم الحجّة بأن المسلمين والبوذيين يتمسّكون اليوم بمجموعتين من الهويات، تستبعد إحداهما الأخرى بناء على ادّعاءات متنافسة تتعلّق بتاريخ البلد وجغرافيته. ولا تتقاسم الطائفتان رواية وطنية عن أراكان بوصفها موطنهما، إذ لا تقرّ الرواية البوذية بدور المسلمين، ويُتجاهل دور الحضارة البوذية السائدة في أراكان في التاريخ الذي يعيد «الروهنجيون» المسلمون روايته. وفي حين أن السجل التاريخي البوذي يعود إلى القرن الخامس عشر، فإن تعريف هوية مسلمة محددة ومشروع كتابة تاريخ للمسلمين (من حيث إنهم مجتمع منفصل يدعى «الروهنجيين») يعتبر مشروعاً حديثاً إلى حدّ ما. ويتعامل البحث في هذه المقالة مع سياق الرواية الروهنجية المسلمة وأصولها على وجه الخصوص.

يشدّد على خلفية تاريخ المسلمين في أراكان لمعالجة مسألة هوية الروهنجيين المسلمين الحديثين المتنازع فيها. ولا تقدّم تفاصيل واسعة عن المؤشّرات البوذية التاريخية في هذه المقالة؛ لأنها تظهر على نحو بارز في مطبوعات أخرى (Leider 2002، 2004، 2005)[2]. وتعتمد الرواية التاريخية الإسلامية الخاصة على السجل التاريخي الراخيني البوذي إلى حدّ كبير، في حين أنها تعتبر تاريخ أراكان ذا شخصية إسلامية بلا منازع. والكتابة الروهنجية للتاريخ ليست مجرّد محاولة لتوفيق بعض الحلقات الناقصة للتاريخ الإسلامي مع مخطّط قومي فحسب، بل هي تطعّم رواية مستمدّة من السجلات التاريخية البوذية بالخصائص الإسلامية، وتصادر تاريخ أراكان ما قبل الاستعمار، مما ينشئ أرضاً خصبة لخطاب الشرعية السياسية والتاريخية التي تساند المطالبة الروهنجية الأساسية بهوية منفصلة. وتوصف عملية إعادة إنشاء الرواية التاريخية هنا بأنها تهجين الرواية التاريخية.

يستعرض القسم الأول إنشاء هوية إسلامية محدّدة في شمال أراكان وظهور الحركة الروهنجية. وتشير جذور مصطلح «روهنجيون»، وهو يستخدم الآن للإشارة إلى المسلمين في شمال ولاية أراكان، إلى حركة سياسية نشأت في خمسينيات القرن العشرين، وعزّزت الفهم الاجتماعي الثقافي للمسلمين في أراكان بوصفهم مجموعة عرقية منفصلة، تقاتل من أجل الاستقلال الذاتي السياسي[3]. ويركّز القسم الثاني على استخدام التاريخ مصدراً للشرعية من قبل البوذيين والمسلمين على حدٍّ سواء. ويليه تفحّص نقدي لبيانات الروهنجيين بشأن أصولهم، ويقود إلى مراجعة للمصادر التاريخية عن نموّ المجتمع المسلم في الفترة الاستعمارية. وتختتم المقالة ببعض التعليقات على الحاجة إلى إدراج الخطاب عن الماضي المتصوّر في النقاش، بشأن الحقوق السياسية والقضايا الإنسانية.

---

(2) Le Royaume d'Arakan, Birmanie. Son histoire politique entre le début du XVe et la fin du XVIIe siècle, Paris, EFEO, 2004. «The Portuguese Communities along the Myanmar Coast», Myanmar Historical Research Journal, 10, 2: 53-88, 2002. «Natural Resources, Agricultural Produce and Commercialized Goods in Pre-Colonial Myanmar A Survey of Some Travel Accounts (1570-1800)», in Essays in Commemoration of the Golden Jubilee of The Myanmar Historical Commission Yangon: Myanmar Historical Commission Golden Jubilee Publication Committee, pp. 109-133, 2005.

(3) عن اسم «الروهنجيا»، انظر:

«Rohingya», see Hamilton 1798 and Leider 2012.

الحركة الروهنجية وإنشاء الهوية

أدّى إنشاء حدود دولية بين باكستان (استقلّت في 14 أغسطس/ آب 1947) وبورما (استقلّت في 8 يناير/ كانون الثاني 1948) إلى فصل الطائفة الشيتاغونغية الإسلامية الكبيرة، ذات الجذور القديمة في البنغال، التي استقرّت في شمال أراكان[4]. وقد أغرت فكرة باكستان، باعتبارها دولة للمسلمين، الكثير من المهاجرين الحديثين، لكن إجراء تغيير في الحدود الإقليمية لم يكن خياراً سياسياً لزعماء البلدين (Irwin 1946; Bhattacharya 1995; Mole 2001; Yegar 2002). وكان الحصول على الاستقلال أو مكانة منفصلة لشمال أراكان، الذي يغلب عليه المسلمون، الحافز الذي دفع تمرّد المجاهدين على الحكومة البورمية المركزية في سياق ما بعد الحرب. وقعت حرب العصابات هذه عندما كانت القوات المسلّحة البورمية تجهد للسيطرة على الأراضي الطرفية. وقد انهزم المتمرّدون من الناحية العسكرية سنة 1954، لكن الصراع استمرّ حتى سنة 1961 باستسلام آخر المجاهدين (Yegar 2002).

مع ذلك، فإن فكرة إقامة منطقة مستقلة ذاتياً للمسلمين في أراكان لم تختفِ، وقد اعتمدها في أعقاب سنة 1962 الجناح المقاتل في الحركة الروهنجية. ويجب أن يفهم تعبير «الحركة الروهنجية» بأنه ناتج عن عملية تدريجية لإنشاء تشكيلات سياسية وثقافية في أوساط مسلمي شمال أراكان منذ أوائل خمسينيات القرن العشرين. ولا يمكن إيجاد مصطلح «روهنجي» (Rohingya)، بتهجئته الحالية، في وسائل الإعلام المطبوعة قبل سنة 1960. ويرتبط استخدامه ارتباطاً قوياً بالمجاهدين. وكان ثمة مصطلحات أخرى مستخدمة من قبل ومتنافسة أيضاً مثل روانجيا، ورونجيا، وروهانجيا. ولم يعكس هذا التنوّع التفضيلات الفردية فحسب، لكن مثّل مجموعات مختلفة ضمن المجتمع المسلم أيضاً. فكان مصطلح «روانجيا»، المدوّن في الملفات الدبلوماسية البريطانية في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات، يستخدم من قبل مجتمع المسلمين السابق للفترة الاستعمارية [5].

(4) يميّز الإحصاء البريطاني لسنة 1931 بين الطائفة الإسلامية القديمة التي يشير إليها باسم «المحمّديين الأراكانيين» والمهاجرين الحديثين الذين يسمّيهم «شيتاغونغيين». وقد شكّلت الطائفة القديمة سدس الطائفة الإسلامية الإجمالية في أراكان تقريباً.

(5) إن التأكيد بأن عبدالغفار استخدم مصطلح «روهنجي» للمرّة الأولى في رسالة إلى الغارديان الشهرية سنة 1951 خاطئ لأن الغارديان

أنتجت الحركة الروهنجية، باعتبارها حملة سياسية لإنشاء منطقة إسلامية مستقلّة ذاتياً، العديد من المنظّمات المقاتلة المتعاقبة، التي تشترك في معتقدات أساسية ذات صلة بالهوية الإسلامية المنفصلة في راخين. وربما يرجع تشكّل وعي سياسي لمصالح إسلامية متميّزة في شمال أراكان، إلى السنوات التي تلت الانفصال الإداري للهند وبورما سنة 1937، لكن التعبير الناضج عن هذه الهوية المحدّدة، الذي تطوّر في خمسينيات القرن العشرين، لم يظهر بوضوح إلا بنشر مقالات كتبها با ثا، المعروف أيضاً باسم محمد أ. طاهر، في صحيفة «الغارديان» سنتي 1960 و1961 (Ba Tha 1960). وقد استمدّ با ثا (وتلاه كتّاب روهنجيون آخرون) ادّعاءاته بوجود هوية عرقية إسلامية منفصلة في أراكان، من التفسيرات التاريخية التي يمكن وصفها بكل أشكالها وحججها المتنوّعة بأنها أيديولوجية روهنجية. ولا يمكن فهم ظهور الحركة الروهنجية وأيديولوجيتها إلا مقابل هرمية ثقافية اعتُبرت فيها الحضارة الإسلامية متفوّقة على الثقافة الأراكانية/ البورمية المحلية، وهي نقطة نوضحها بمزيد من التفاصيل أدناه.

منحت اتفاقية بانغلُنغ (Panglong Agreement) في 12 فبراير (شباط) 1947، المعقودة بين الجنرال أونغ سان والممثّلين عن الأعراق غير البورمية، استقلالاً ذاتياً سياسياً ومالياً للمناطق الحدودية التي تسكنها أقليّات الشان والكاشين والتشين العرقية. كما أن إنشاء تقسيمات إدارية منفصلة لاحقة للمون والكارين والكاياه الأراكانيين (الراخينيين) (كما حدّد في دستور سنة 1974) اتبع خطوط الأقليات العرقية حصرياً. وعلى الرغم من انتقاد الدراسات الاجتماعية المعاصرة للفئات العرقية الأساسية، مثل العرقيات المئة وخمس وثلاثين الرسمية في ميانمار، فإن على المرء أن يعترف بأنه لاتوجد حتى اليوم طريقة أخرى لتعريف الاتحاد، وتصوّر تقاسم

الشهرية لم تكن موجودة في ذلك الوقت. ينحدر عبدالغفار من بوثيداونغ وكان عضواً في لجنة السلام في بوثيداونغ سنة 1942. وأصبح وزيراً للشؤون البرلمانية بعد الحرب، وكان واحداً من خمسة أعضاء منتخبين من أراكان في المجلس التأسيسي. وأشكر درك تونكين وكياو مين هتين على إطلاعي على أفكار مستمدة من بحثهما الحديث في وسائل الإعلام المطبوعة في خمسينيات وستينيات القرن العشرين. وفي ما يتعلّق باستخدام الاسم، يشير كي نيموتو أيضاً إلى خطاب رسمي «قدّمته مجموعة من تسمّى كبار الروهنجيين في شمال أراكان إلى رئيس الوزراء يو نو عند زيارته لماونغدو في 10 مارس (آذار) 1950» (نقلاً عن Jilani 1999: 462–3 Nemoto in، 2007: 3، fn. 5). وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن اسم «روهنجيين» استخدم في خطاب رسمي للعميد أونغ غيي في احتفال استسلام المجاهدين:

Monograph in respect of the fact that local Islam, Inhabitants within Rakhine State, are native race and citizen, p. 39.

السلطة في بورما/ ميانمار إلا بتطبيق مثل هذه التصنيفات العرقية الدينية. فقد شكّل الاعتراف بالأعراق شرطاً لا بدّ منه لبناء المشروع السياسي.

حاولت الحركة الروهنجية أن تنسجم مع هذه «القاعدة» عندما اضطلعت بمهمة تحقيق الاعتراف بمنطقة إسلامية مستقلّة ذاتياً في شمال أراكان تشمل ماونغدو، وبوثيداونغ، وجزءاً من ناحية راثيداونغ. وللتوصّل إلى مكانة سياسية منفصلة، كان لا بدّ من إنشاء مؤهّلات التميّز العرقي. ولا تستطيع الحركة الروهنجية المحافظة على طموحاتها السياسية إلا بنيل الاعتراف باعتبارها مجموعة عرقية. فلا يكفي الدين وحده –كما كانت الحال في تحديد باكستان بمثابة دولة للمسلمين. ولا يريد المسلمون في أراكان أن يكونوا جزءاً من ولاية أراكان المنفصلة التي يهيمن عليها البوذيون، وهو طلب نوقش لأول مرة في الفترة البرلمانية. من ناحية أخرى، كان الراخينيون البوذيون يعارضون بشدّة إنشاء منطقة حصرية للمسلمين، مما يعني بالنسبة إليهم فقداناً فعلياً لجزء مما يرونه وطنهم (Jilani P94 1999).

مصطلح «روهنجي»

نظراً إلى انتشار استخدام مصطلح «روهنجي» منذ سنة 2002، من المهمّ الإشارة إلى أنه لزم سنوات في الواقع للحصول على اعتراف بالاسم، حتى بين المسلمين أنفسهم. فهو ما يزال يواجه حتى اليوم، باعتباره هوية عرقية دينية، منافسة في أراكان من تسمية «المسلمين الأراكانيين» أو المسلمين الراخينيين»، التي لم تلقَ استقبالاً حسناً، بل رُفضت صراحة من البوذيين الراخينيين (Khaing Myo Saung 2012: 173). أما شبه الاحتكار الذي يحظى به مصطلح «روهنجي» في وسائل الإعلام اليوم، فإنه لم يكن موجوداً في أوائل خمسينيات القرن العشرين. على سبيل المثال، لا يظهر مصطلح «روهنجي» في الإعلان الرئيس للاستقلال الذاتي السياسي («ميثاق المطالب الدستورية للأراكانيين المسلمين») الذي صدر في مؤتمر المسلمين في ألثانغيو (ماونغدو) في يونيو (حزيران) 1951 (Maung Tha Hla 2009: 73–4). ومن بين الأعضاء الخمسة الذين انتخبوا أعضاء في المجلس التأسيسي سنة 1947، انتُخب أربعة بوصفهم أعضاء في جمعية العلماء، وواحد

بصفته عضواً في مؤتمر مسلمي بورما (Jilani 1998: 90).

في حين استخدم مصطلح «روهنجي» في أوائل الستينيات في البثّ الإذاعي باللغة المحلية، وظهر في أسماء عديد من المنظّمات الدينية والثقافية، مثل منظمة الطلاب الروهنجيين في جامعة رانغون، ورابطة الشباب الروهنجيين، ومنظمة الروهنجيين المتحدين في مقاطعة مايو، فإنه لم ينتشر على نطاق واسع خارجها، ولا يوجد البتة حزب سياسي يحمل هذه التسمية الحصرية في البلد بعد سنة 1988. مع ذلك، فإنه يظهر في أسماء منظمات مقاتلة متتالية منذ الستينيات. وكانت تسمية «روهنجيين»، حتى أوائل التسعينيات، تحظى باعتراف في معظم وسائل الإعلام، لا بوصفها تسمية عرقية أو دينية، وإنما تسمية للمتمرّدين الذين يقاومون حكومة ميانمار، و«يسعون إلى إنشاء ولاية إسلامية مستقلة قرب بنغلادش»(Selth 2003: 15). وأصبح مصطلح «روهنجي» شهيراً في أعقاب سنة 1995، عبر التقارير التي صدرت باللغة الإنجليزية عن حقوق الإنسان والوضع الإنساني في شمال أراكان.

أصبح للاعتراف الذي يتمتّع به المصطلح حالياً، مع أنه حديث جداً، تأثير رئيس يتجاوز رفع وعي الرأي العام الدولي للصراع الطائفي. ويضع استخدامه التقليدي من قبل وسائل الإعلام والمنظمات الدولية ضغطاً على كل المسلمين في راخين، وخصوصاً عندما يتركون البلد لتعريف أنفسهم بأنهم «روهنجيون» حصراً لسبب بسيط، هو أن للمصطلح خارج ميانمار قيمة عالية من حيث الاعتراف بالاسم. والأهم من ذلك أن استخدام مصطلح «روهنجي» بالنسبة لوسائل الإعلام الغربية والآسيوية، بالإضافة إلى أعضاء المنظمات الدولية المسؤولين عن البعثات الإنسانية، وعلى الأخص الذين يقدّمون التأييد، أصبح مسألة صواب سياسي. فربما يعتبر عديد من الناشطين عدم إطلاق اسم «روهنجيين» على المسلمين بمثابة إنكار لهويتهم العرقية الدينية المعلنة ذاتياً، وبالتالي رفضاً فعلياً للمطالبة بالمواطنة. وفي أعقاب الحوادث التي وقعت سنتي 2012 و2013، أخذ الناشطون الروهنجيون أنفسهم يحضّون المسلمين في ولاية راخين على تعريف أنفسهم حصرياً بأنهم «روهنجيون». وهكذا أصبحت دينامية سياسة الأسماء ميزة سياسية هائلة للحركة نفسها. لكن العادات اللغوية لن تتغيّر بالضرورة في الأماكن التي سمّي فيها المسلمون الأراكانيون تبعاً لأصولهم

المعروفة. وينطبق ذلك على بورما/ ميانمار وأراكان نفسها، حيث يسمّون «بنغاليين» بقدر ما ينطبق على المملكة العربية السعودية (أو حتى باكستان)، حيث يعيش كثير من اللاجئين من أراكان منذ أواخر سبعينيات القرن العشرين ويسمّون «مسلمين بورميين»، وهو اسم يرفضه المدوّنون الروهنجيون بغضب (Ahmed 2010).

الحركة الروهنجية: عمل قيد الإنجاز أم فشل سياسي؟

بعد نحو (60) سنة على بدايات الحركة الروهنجية، يستطيع المرء أن يصفها بأنها عمل قيد الإنجاز أو فشل سياسي كبير. ويمكن أن يقدّم التفسير السلبي على النحو الآتي: لم يحقّق المقاتلون الروهنجيون هدف إنشاء ولاية إسلامية أو منطقة تحظى باستقلال ذاتي. فبعد تخلّي المجاهدون عن أسلحتهم سنة 1961، شكّل إنشاء مقاطعة مايو الحدودية (1961–1964)، بفضل الجنرال ني وين، تحقيقاً جزئياً وموقّتاً لأحلامهم السياسية. وكانت مقاطعة مايو الحدودية تدار من قبل الجيش مباشرة، ولا حاجة للمسلمين إلى التعاون مع البوذيين الراخينيين. لكن التطوّر السياسي للبلد بعد سنة 1962، وعجز الحركة الروهنجية العسكري، دمّرا أي أمل بإحياء مشروع الاستقلال الذاتي السياسي. فالمقاتلون الروهنجيون لم يهدّدوا قوات الأمن في أراكان قطّ (Yegar 2002). بل إن الروهنجيين الذين انضمّوا للمنظمات الإسلامية الأصولية في بنغلادش لم يثيروا أي اضطراب في ميانمار، وإنما استثمروا حماستهم في الجهاد في أماكن أخرى من آسيا.

بغض النظر عن وصف المرء لوضع الأشخاص المتحدّرين من أصل هندي في بورما/ ميانمار منذ سنة 1948؛ فإن أداء المسلمين لم يكن في أي مكان أسوأ من أدائهم في أراكان. فأكثر من نصف الهنود المسلمين الذين هاجروا إلى بورما أثناء الفترة الاستعمارية جاؤوا من البنغال(Census of India 1911: 215). كما أن من أعادوا اختراع أنفسهم سياسياً بوصفهم «روهنجيين»، بعد اختلاطهم بالسكّان المسلمين المحليّين القليلين في راخين، تبيّن لهم أن الادّعاء بأنهم كانوا وما زالوا مجموعة عرقية (لو ميو) قد أعطى نتائج عكسية منذ زمن طويل.

تعاون المقاتلون الروهنجيون بأشكال متنوّعة مع المتمرّدين في أنحاء أخرى من

البلد (Selth 2003: 14–22). لكن حركة الروهنجيين المقاتلين لم تحظَ بمصداقية وقبول ضمن الجبهة العرقية العريضة للمنظمات المناهضة للحكومة. كما أنها لم تحظَ في الظاهر بكثير من الثقة من الدول الإسلامية أو المنظمات الإسلامية الدولية، حتى في أكثر الأوقات ملاءمة لتمويل المتمرّدين من الشرق الأوسط، بسبب تاريخ التقاتل السياسي في داخلها. وإزاء هذه الخلفية، فإن تدفّق السخاء والاهتمام من قبل منظمة المؤتمر الإسلامي والحكومة التركية مثير جداً للدهشة، كما أن إنشاء اتحاد الروهنجيين الأراكانيين في جدّة سنة 2011، بعد سنوات من المداهنة والمناصرة الخارجية يعدّ مأثرة غير عادية. غير أن مطالب الروهنجيين لم تحظ بقبول المسلمين في أماكن أخرى في ميانمار؛ لأن التسمية الروهنجية ربما لم تفهم بأنها حركة ذات قاعدة شعبية تسعى لتثبيت المؤهّلات العرقية، بقدر ما فُهمت بأنها مشروع سياسي. من ناحية أخرى، يمكن أن يتغيّر هذا المفهوم في النهاية في الظروف الراهنة، حيث يمارس ضغط سياسي وديني دولي هائل لتأييد الروهنجيين وإظهار التضامن معهم.

من ناحية أخرى، نجحت الحركة الروهنجية في ترسيخ اسمها، باعتباره المرجع السائد لغالبية المسلمين في أراكان. كما أن القوى المحرّكة الاجتماعية التي تجعل الناس يفضّلون تحديد أنفسهم بأنهم مسلمون روهنجيون، تعمل لصالح الحركة الروهنجية حالياً. ومع ذلك فإن ما تقدّم لا يعني أن هوية الروهنجيين نفسها أصبحت أكثر شفافية. فالأيديولوجيون الروهنجيون يفترضون أن الروهنجيين، كما يرونهم، موجودون منذ قرون، وعند وصف السياقات التاريخية يميلون بانتظام إلى إحلال مصطلح «روهنجي» محل «مسلم» كلما روجع وجود المسلمين في أراكان. وهذا النهج لا يصلح للمؤرّخ. فلا يمكن التوصّل إلى وصف منتظم لمن هم الروهنجيون، أو من يريدون أن يكونوا من الكتابات الروهنجية فحسب، لأن مثل هذه الأوصاف غير منسجمة. وتُبرز مثل هذه الاختلافات أن «الروهنجية» لا تزال هوية قيد التشكيل، وعلى المرء متابعة العملية الاجتماعية التي ما تزال تخضع للتغير اليوم. وتجدر الإشارة في الوقت الحالي إلى أن صورة الروهنجيين الموجودة لدى العالم الخارجي مختلفة جداً عن الصورة التي تحاول قيادة الروهنجيين الترويج لها.

تفيد التقارير باستمرار منذ نهاية تسعينيات القرن العشرين، بأن الروهنجيين

هم الأقلية الأكثر تعرّضاً للاضطهاد في العالم[6]. وعند البحث في «غوغل» عن عبارة «الأقلية الأكثر تعرّضاً للاضطهاد» أو ما شابهها نحصل على ما يقرب من (98٪) من الروابط المتصلة بالروهنجيين. وقد تمكّنت المنظّمات الروهنجية من الإفادة من تكرار هذه الصورة للضحية؛ لزيادة الضغط الدولي على حكومة ميانمار للتعامل مع مطالبهم بالتصديق على مواطنتهم. لكن من الخبث وصف حصر الهوية الروهنجية باستمرار صورة الضحية بأنه إنجاز سياسي لحملات المساندة المتكرّرة. فالأيديولوجيون الروهنجيون لا يريدون، ولم يريدوا من قبل، وصف المسلمين في أراكان بأنهم ضحايا تاريخيون ولاجئون، وإنما فاعلون تاريخيون[7]. فتاريخ القرن السابع عشر تاريخ لحرب ضدّ المغول، لا اضطهاد المسلمين (Askari Hasan 1960; Leider 2004: 151–70، 204–29). وعندما ينظر المرء في العقود الستة الأخيرة، فإنه يجد أن تاريخ المقاتلين الروهنجيين داخل البلد وخارجه لا يخلو من الفعل أيضاً، ولم يتباطأ إلا بتزايد النظام القمعي الذي اتبعته الحكومة البورمية السلطوية. ولا يشكّل تعبير «المحنة الدائمة للروهنجيين»، المنتشر على نطاق واسع في التقارير التي تلت سنة 2012، وصفاً كافياً للأوضاع المتزايدة سوءاً في التسعينيات التي يجب تفحّصها ضمن السياق السياسي لميانمار. بيد أن النقطة التي يجب توضيحها هنا، هي أن أولويات الأجندة السياسية لأجيال عدة من الروهنجيين، لا تزال الحصول على الاعتراف العرقي والاستقلال الذاتي للمسلمين في شمال أراكان، لا أن يصبحوا مثالاً للقمع الحكومي.

تغيب الخلفية الثقافية والتاريخية التي تغذّي جذور الهوية الإسلامية في أراكان غياباً تاماً عن تمثيلهم في وسائل الإعلام اليوم. ويشكّل هذا النقص -جزئياً على الأقل- لازمة لخيار اتخذته قيادة الحركة الروهنجية. انطوى ثمن إعادة إنشاء

(6) أصبح هذا التعبير شهيراً في أعقاب أزمة قوارب الروهنجيين في تايلند سنة 2009، وقد استخدم لأول مرة في تقرير للبي بي سي من إعداد مايك طومبسون سنة 2006، وفقاً لكريس ليوا من مشروع أراكان، وهي مجموعة لمساندة الروهنجيين. وقد ارتبط خطأ بتقرير للأمم المتحدة (اتصال بالبريد الإلكتروني سنة 2013). وثمة دراسة اجتماعية نادرة للاجئين الروهنجيين في Hering n.d..

(7) ثمة اختلاط اليوم في الانطباع العام للتمثيل الذاتي للروهنجيين. على سبيل المثال، إن الموقع الإلكتروني:

http://www.thestateless.com

[تم دخوله في 2 يوليو (تموز) 2015]، الذي يركّز على «الروهنجيين الذين لا دولة لهم»، يضمّ، على غرار معظم المواقع الإلكترونية الروهنجية، قسماً تاريخياً، لكن يركّز عرضه للروهنجيين على صورة الضحية.

المسلمين بالضرورة من أصول ذات أسماء مختلفة بنغالية وشيتاغونغية وباكستانية في أراكان، باعتبارهم مجموعة عرقية متميّزة في بورما/ ميانمار، على إنكار مستمرّ لجذورهم الثقافية والتاريخية في منطقة شمال خليج البنغال الواسعة. وبرفض الأصول الأكثر وضوحاً، وحقيقة تدفّق الهجرة في الفترة الاستعمارية، فإن القادة الروهنجيين فصلوا طائفتهم –لأسباب سياسية– عن سائر الطائفة الهندية في بورما/ ميانمار، لا سيما ذوي الأصول البنغالية الشرقية، وعن المجتمع المسلم العريض في بورما/ ميانمار، وعن أشقائهم في جنوب شرق بنغلادش/ باكستان الشرقية. وثمة علاقة كبيرة للرفض الشديد للهوية الروهنجية من قبل البوذيين في أراكان وعديد من الجماعات العرقية في ميانمار، والتناقضات القائمة في الأساس السياسي للحركة الروهنجية. وعند العودة إلى التاريخ الحديث، من الصعب إنكار أن المثقّفين الذين يحملون الهوية الروهنجية المعاصرة، هم دعاة لشخصية فردية حكمت على الطائفة الإسلامية بحالة من العزلة الذاتية.

التاريخ بمثابة منبع للشرعية

الاقتراح الرئيس لمن يدّعون وجود هوية روهنجية، هو أن المسلمين في راخين طوّروا هوية مشتركة ذات أصول مختلطة، آسيوية وشرق أوسطية منذ الألفية الأولى، وأنه تجب الإشارة إلى هذه الهوية استدلالياً باعتبارها «روهنجية» فريدة. وتبيّن الأدلّة التاريخية المتوافرة في أوائل الفترة الحديثة فحسب، أنه لم يكن هناك أي مجتمع إسلامي واحد موحّد في المملكة القديمة، وأن الغالبية العظمى من الطوائف الإسلامية في الفترة الاستعمارية وما قبلها جاءت من البنغال. وتثبت الوثائق والإحصاءات البريطانية بوضوح وجود تدفّق للهجرة من مقاطعة شيتاغونغ البنغالية إلى أراكان، لا سيما قبل الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك التدفّق ذا أهمية كبيرة بين سنتي 1891 و1901، وامتدّ حتى ثلاثينيات القرن العشرين (Census of India 1911; Burma Gazetteer Akyab District 1912; Smart 1917). وطرأت تدفّقات قليلة التوثيق وغير معروفة جيداً للمهاجرين، اعتبرتها السلطات غير قانونية، في زمن تمرّد المجاهدين (1947–1961) وفي أعقاب حرب استقلال بنغلادش سنة 1971 (Aye Chan 2011). ويقلّل الكتّاب الروهنجيون من تدفّق

المهاجرين خلال الفترة الاستعمارية، وينكرون حركات الهجرة اللاحقة، ويحدّدون مجتمعهم بأنه الوريث الوحيد للمجتمع المسلم القديم المتماثل ثقافياً في أراكان، ويشدّدون على الاختلافات الثقافية عن المسلمين في شيتاغونغ.

بينما يؤكّد المثقّفون الروهنجيون ما لا يتصّفون به (عمال مهاجرون سابقون، ومستوطنون زراعيون، ومهاجرون حديثون غير قانونيين) وما لا يريدون أن يظهروا بمظهره بعد الآن (بنغاليون) فإنهم يطالبون إيجابياً بميراث تاريخ أراكان. وقد أعاد الروهنجيون وصف ماضي البلد بطريقة انتقائية، فمنحوا الأولوية للعناصر الإسلامية ووجود المسلمين، وأعادوا تفسير جوهر التاريخ السياسي باعتباره رواية إسلامية أساساً. وللقيام بذلك، فضّل المؤرّخون الروهنجيون على العموم الكتابات الاستعمارية البريطانية، والدراسات الغربية ما بعد الاستعمار عن آثار أراكان وتاريخها[8]. وعلى نحو ما يمكن أن يجده المرء في أماكن أخرى في ميانمار المعاصرة، لا يعتبر كثيرون، حتى في الوقت الحاضر، أن الحالة الراهنة للأبحاث تحظى بالمرجعية، بل الحالة المبدئية الأولى للأبحاث التي تعود إلى الفترة الاستعمارية.

يُعد كتاب محمد طاهر، المسمّى أيضاً باثا، «تاريخ موجز للروهنجيين والكامانيين في بورما» (A Short History of Rohingyas and KamanS of Burma)، الذي كُتب سنة 1963 بناء على طلب الرابطة الوطنية المتحدة للروهنجيين في ميتكيينا، أول كتاب حديث عن تاريخ الروهنجيين. يوجز جهود با ثا لجمع الأدلّة عن تاريخ المسلمين في أراكان، ويفسّرها في إطار وجهات النظر السياسية للروهنجيين وطموحاتهم. وقد وُضع الكتاب في وقت ربما كانت ثقة الحركة الروهنجية بنفسها وبقدرتها على تثبيت نفسها بنجاح في المشهد العرقي السياسي في بورما في أوجها. تذكّروا أن أوائل الستينيات شهدت سنوات ازدهار «مقاطعة مايو الحدودية» في شمال أراكان. وقد ترجم جيلاني الكتاب إلى الإنجليزية سنة 1998 ونُشر في بنغلادش[9]. وهو يحتوي على المفاهيم والأفكار والتفسيرات المهمّة التي

(8) يقتبسون بين الحين والآخر عن د. ثان تون، لكن نادراً ما ينقلون عن المؤرّخين والمؤلّفين البوذيين.

(9) ثمة عمل قبل الحرب عن المسلمين كُتب بالأردية هو «تاريخ الإسلام: أراكان وبورما» لمحمد خليل الرحمن (1944). لم يطلع المؤلف على محتويات هذا الكتاب. لكن ثيبو دوبرت (تواصلٌ شفهيٌّ، ديسمبر/ كانون الأول 2012) قال: إن العمل يذكر الحركات الإصلاحية الإسلامية التي حاولت وضع حدّ للمعتقدات التوفيقية التي يمارسها المسلمون في معابد باغودا مراو كيو.

تؤسّس لوجود هوية روهنجية تاريخية. ومن الافتراضات الرئيسة للكاتب الروهنجي أن هناك وجوداً إسلامياً تاريخياً مستمراً في أراكان يرجع إلى الألفية الأولى. ومن الصعب، من المنظور العلمي، دعم هذا الاقتراح بسبب نقص في الأدلّة الراسخة للفترة المبكّرة[10]، إذ يخضع السياق التاريخي الإقليمي قبل القرن السادس عشر لمختلف التفسيرات. وعلى الرغم من وجود أدلّة أكثر وفرة ذات صلة بالفترة الحديثة المبكّرة وتقدّم أفكاراً مهمّة، فإن من الصعب كتابة رواية متماسكة عن تاريخ المسلمين ومجتمعهم.

حاول المؤرّخون الروهنجيون إنشاء رواية واحدة لتاريخ الروهنجيين، فذكروا وجود التجّار الهنود، والشهادات الأدبية، والعناصر الثقافية للحضارة الإسلامية في أراكان، بالإضافة إلى تفسيرات معيّنة للقصص والأساطير. وكما أشرنا أعلاه، عندما يوصف أي شيء «إسلامي» في تاريخ أراكان في الخطاب الروهنجي بأنه «روهنجي»، فإن كلمتي «روهنجي» و«مسلم» تلتحمان عقَدياً في معنى واحد، وتختفي مرادفات التعدّد العرقي الإسلامي، التي كانت معهودة في المنطقة في أوائل الفترة الحديثة، أو تصبح غامضة على الأقل. والاستثناء هم المسلمون الكامانيون في جزيرة رامري، إذ إنهم سُجّلوا رسمياً باعتبارهم طائفة إسلامية سابقة للفترة الاستعمارية في أراكان، وقبل ظهور الحركة الروهنجية أواخر الخمسينيات. وبقراءة المصادر التاريخية والتاريخ الاستعماري، واستبدال كلمة «روهنجي» بكلمة مسلم، تمكّن الكتاب الروهنجيون من استكمال وتفسير سجل لا يزال غير مكتمل، باستثناء الأوج السياسي لمروا كيو في القرن السابع عشر.

لا شكّ في أن الكتّاب الروهنجيين شحذوا الحاجة إلى إيلاء الأجانب مزيداً من الاهتمام الوثيق للحضور الإسلامي التاريخي في المملكة البوذية[11] . فقد أدخلوا عناصر مثل وجود الصوفية ودور النخب المسلمة في البلاط، لم تكن حتى ذلك الوقت جزءاً من الحبكة التاريخية. وقد أفاد ذلك نهج التاريخ التحليلي القائم على وقائع صحيحة. مع ذلك، فإن قراءة المصادر التاريخية ظلّت جزئية ومشوبة بالحاجة إلى

(10) خضع تاريخ الثقافة الهندوسية البوذية في الألفية الأولى لمزيد من المراجعة أخيراً.

(11) كان تشارني أول باحث غربي ينظر جدياً في مسألة الهويات الدينية في أراكان من منظور تاريخي في أطروحته للدكتوراه (1999).

إنشاء المؤهّلات «العرقية». وفي حين أن الروهنجيين تجاهلوا -إلى حدّ كبير- العناصر البوذية الأثرية، والاجتماعية، والثقافية، فإنهم فسّروا تاريخ أراكان باعتباره تاريخاً لبلد يغلب عليه المسلمون. ومثل هذا التشويه غير مسعف، إذ انحسر ما يمكن أن يكون نقاشاً مثيراً للاهتمام عن الأثر الثقافي والتبادل الثقافي البيني، في المنطقة الساحلية لشمال شرق خليج البنغال، أمام أولويات أجندة سياسية مضمرة. وقد أصبح رفض الادّعاءات والتفسيرات الروهنجية للتاريخ يعادل -في أعينهم- رفض التراث الإسلامي في أراكان وحقّ مسلمي أراكان في المطالبة بالمواطنة في ميانمار.

إن المنشورات الروهنجية، مثل كتاب يونس «تاريخ أراكان (الماضي والحاضر) (1994)[12]؛ وكتاب جيلاني «الروهنجيون في أراكان: السعي وراء العدالة» (1999)؛ و«التاريخ الثقافي للروهنجيين» (2001)؛ وكتاب زاو من هتوت الخاضع لكثير من المناقشة «اتحاد بورما والعرق الروهنجي (بالبورمية)، وقد نشر سنة 2001 في اليابان؛ وكتاب آبو عانين المميّز، وغير المنشور حتى الآن «نحو فهم تاريخ أراكان (دراسة للمسألة العرقية في أراكان، ميانمار)»، كُتب سنة 2002 في يانغون، تنحو نحو با ثا في تثبيت مؤهّلات الهوية العرقية للمسلمين الروهنجيين ووصف أراكان، بدرجات متفاوتة، بأنها بلد مؤسلم.

يجب أن يكون التاريخ الهجين الذي يطعّم العناصر الإسلامية بالمصفوفة الهندوسية البوذية؛ موضوع نقاش بحثي من حيث كتابة التاريخ. ولا تبطل عيوبه المنهجية المسعى لمنح صوت للمسلمين في تاريخ أراكان، إذ لا يستطيع أحد أن ينكر أن للمسلمين الحقّ في ادّعاء جذور تاريخية للحضور الإسلامي في أراكان باعتباره جزءاً من التراث الثقافي. مع ذلك، ثمة نقاط ضعيفة في محاولات الروهنجيين صوغ تاريخ إسلامي لأراكان لا يمكن التحدّث عنه طويلاً، مثل تفسير الروايات الخرافية باعتبارها تاريخاً واقعاً، وإسقاط شروط الاضطهاد الحالي على التاريخ، والأهم من ذلك كله وجود بقعة مظلمة تتعلّق بهجرة البنغاليين الشيتاغونغيين خلال الفترة الاستعمارية. وكما ذُكر أعلاه، لا يضفي المؤلّفون الروهنجيون الطابع التاريخي على ولادة الحركة الروهنجية نفسها، بوصفها عملية نشأت من ظروف سياسية

(12) كان يونس رئيس منظمة التضامن الروهنجية.

جديدة استحدثها استقلال باكستان وبورما. على الجانب الآخر درس المؤلفون الراخينيون البوذيون في السنوات الأخيرة عديداً من هذه العيوب، بفصاحة وتؤدة أحياناً، وأحياناً بطريقة عدوانية للأسف. ويُنكر الكتّاب الراخينيون بعناد وجود عرق روهنجي، ويشدّدون بقوة على أن من يدعون روهنجيين، إنما هم متحدّرون من المهاجرين الشيتاغونغيين، ويلفتون الانتباه إلى استمرار الهجرة غير القانونية من باكستان الشرقية في أعقاب الحرب العالمية الثانية. وتشمل الأبحاث المنشورة وغير المنشورة بحث شوي زان «دراسة تسلّل المسلمين إلى ولاية راخين»، وخين مانغ سو «الروهنجيون، من هم؟ وأصل اسم «الروهنجية» (1993)، وآي تشان «تطوّر الجيب المسلم في ولاية أراكان (راخين) البورمية (الميانمارية)» (2004)، وماونغ ثا هلا «الخدعة الروهنجية» (2009)، وخلاصة سايا خاينغ ميو ساونغ الغزيرة المعلومات «التراث الاستعماري الرديء في أراكان وتوسّع المسلمين البنغاليين الشيتاغونغيين» (بالبورمية، 2012). وغالباً ما أثارت الكتابات الراخينية أجوبة في المقابل (Islam 2011).

درج الراخينيون البوذيون تقليدياً على اعتبار أرضهم، راخين براي، الأرض البوذية الطليعية، لأنهم يعتقدون أن الربّ بوذا زار في زمانه البلد، وجعل الملك كانداسوريا يقيم تمثالاً لبوذا يدعى ماهاموني، ويوصف في النصوص بأنه أخو بوذا الصغير. وكان هذا التمثال المثال الأعلى للمملكة لقرون عدة، إلى أن نقله الفاتحون الميانماريون إلى أمارابورا سنة 1785. وتتحدّث قصص ملفّقة في أراكان عن قيام بوذا بزيارة أماكن مختلفة من أراكان، مشيراً إلى وجود ذخائر تركها هناك أثناء الوجود المبكّر للحيوان والإنسان. ولعل ما يجعل البلد ذا مكانة خاصة جداً للسكّان البوذيين الجغرافيا المقدّسة وطبيعة الأرض التي أضفي عليها الطابع البوذي (Leider 2009). كما أن الخطاب التاريخي المحلّي، كما نجده في التقاليد الأدبية، مشرّب بالكون البوذي على نحو مماثل، والأسطورة التأسيسية لماهاموني، والتقاليد المتعلّقة بالأسر الملكية المتعاقبة والعواصم. ومع أنه كان للمهاجرين دور كبير في التاريخ السياسي لأراكان، وعلى الرغم من أن الملوك الراخينيين كانوا يسيطرون في القرنين السادس عشر والسابع عشر على أراضٍ يغلب عليها المسلمون في جنوب شرق البنغال، فإن السكان المحلّيين يتجاهلون -إلى حدّ كبير- الأدوار الإدارية والعسكرية

والاقتصادية للبرتغاليين المسيحيين، والدماء المختلطة للهندوس والمسلمين، وبالتالي يتم تجاهلها في الخطاب الوطني عن أراكان والهوية البوذية للدولة.

التاريخ مهمّ للبوذيين والمسلمين على حدّ سواء، وهو ميدان تخاض فيه المعارك لترسيخ مصداقية الروايات العرقية الدينية. و«التاريخ» في أعين الطائفتين لا يحدّد هويتهما الثقافية والدينية والعرقية المحتفى بها فحسب، وإنما ينشئ أيضاً حقوقهما بادّعاء ملكية الأرض. وهكذا فإن ما يتصوّران أنه تاريخهما يمثّل شيئاً لا يمكن أن ينكر أنه قريب من عقول وقلوب كثير من الأشخاص في كلا الجانبين. وخلافاً للجماعات العرقية الأخرى في ميانمار، فإن من المعروف أن المسلمين الروهنجيين والبوذيين الراخينيين ينشئون مجتمعات تاريخية، ويحرصون على عقد الندوات التاريخية لنقل وجهات نظرهم السياسية، بدلاً من نشر تقارير حقوقية أو إحاطات عن حقوق الإنسان مثلاً. وقد واجه المثقّفون من الطائفتين أفكار كل منهم ومعتقداتهم، واشتركوا في نضال لاكتساب الاحترام الأخلاقي وترسيخ حقيقتهم[13].

من الملاحظ أن المجتمع الدولي تجاهل هذا النقاش التاريخي والأخلاقي تماماً منذ خمسينيات القرن العشرين. وكما ذُكر أعلاه، تميل كلا الطائفتين إلى شطب الأخرى من التاريخ، أو إلى تقليل أهمية الطرف الآخر في التاريخ. وهكذا لا يستطيع المرء إلا أن يلحظ إحدى النقاط القليلة التي تتماثل فيها روايات بعض الكتّاب. وهي التقدير السلبي للفتح البورمي سنة 1785 وعواقبه. فغالباً ما وصف القوميون البوذيون الأربعين سنة من الحكم البورمي (1785–1825) بأنها محاولة إبادة جماعية لاستئصال الراخينيين، في حين يرى بعض الروهنجيين أن سياسات الملك بوداوفايا وضعت حداً –تقريباً– لحضارتهم الإسلامية. وقد كتب جيلاني، «لقد كان سقوط مراوك يو ضربة قاصمة للروهنجيين؛ إذ سوّي بالأرض كل ما يمتّ للإسلام بصلة مادّية وثقافية» (Jilani 2001: 69)[14]. ومن غير الواضح ما إذا

(13) تعكس المواقع الإلكترونية الشغف بالمواد التاريخية التي يحرص على جمعها. ومن الندوات التاريخية التي جرت أخيراً الندوة التاريخية الروهنجية في المملكة العربية السعودية
(http://www. youtube.com/watch?v=AwExQK-COA0 [accessed 2 July 2015])
والندوة التاريخية الراخينية في جامعة ماهيدول، بانكوك، 9 مارس (آذار) 2013، التي نظّمها الطلاب البوذيون.

(14) يبدو امتداح آبو لتعيينات الملك بوداوفايا للقضاة الدينيين ملحوظة شديدة الاختلاف (Abu 2002: 84–5).

كان موقف المسلمين المضادّ للبورميين يستند إلى تقاليد إسلامية شفهية منفصلة، أو إلى الكتّاب البريطانيين المشهورين بمناهضتهم لأسرة كونباونغ، أو التعديل المتأخّر للتقاليد الراخينية المكتوبة.

أُصول الروايات

اقترح الكتّاب الروهنجيون تفسيرات مختلفة لأصولهم العرقية والدينية؛ وتشترك هذه التفسيرات في ثلاث خصائص: أنها تشدّد على تراث مشترك، وتتحدّث عن أن الارتباط بأراكان يرجع إلى الألفية الأولى، وتبذل جهداً دائماً لتقليل ارتباطهم بالبنغال أو سكّانه أو إنكاره. وفي بعض الأحيان يقلب المؤلّفون الروهنجيون المعلومات المتعارف عليها رأساً على عقب، ولدعم حججهم، يقدّمون بيانات لا تتعارض مع الحدس فحسب، وإنما تقع خارج مجال الدراسة البحثية أيضاً. ويذكر با ثا -على سبيل المثال- أن الروهنجيين كانوا ذات يوم «الغالبية المطلقة في أراكان» وأن (50٪) من سكان شيتاغونغ يتحدّرون من الروهنجيين الذين فرّوا من أراكان في أعقاب سنة 1785 (Ba Tha 1999 [1963]: 42–3).

طالما كان المسلمون في جنوب شرق آسيا يتحدّثون عن أصولهم العربية أو الفارسية لإعلاء مكانتهم بارتباطهم بالحضور الإسلامي المبكّر جداً. لكن كتب الرحلات الشرق أوسطية المبكّرة لا تذكر أراكان (Tibbetts 1979). وثمة رواية أسطورية عن بحّارة سفينة غارقة، يشار إليهم بأنهم كالا، وقد فسّرت بالمعنى المطلوب. وتستخدم كلمة كالا منذ قرون في ميانمار إشارة إلى الهنود على العموم والمسلمين على الخصوص، وإلى الغرباء الغربيين بالمعنى الأوسع، لذا فسّرها الروهنجيون بأنها تشير إلى العرب والمسلمين. لكن لا يمكن الادّعاء بأن قصّة غرق السفينة بحدّ ذاتها تاريخية؛ إذ لا توجد إلا معلومات قليلة موثوقة في أي جزء من السجلّات التاريخية الراخينية التي تتعامل مع التاريخ المبكّر. وفي حالة السفينة الغارقة، فإن التاريخ الذي يقتبسه المؤلّفون الروهنجيون اليوم، وهو يقابل سنة 788 ميلادية، ويفسّر بأنه تاريخ وصول الإسلام، هو أيضاً التاريخ الذي يُزعم أن فيسالي، وهي من المواقع الحضرية المبكرة في أراكان، أنشئت فيه، وبناء على أسس لا علاقة

لها بعلم الآثار، أو السفن الغارقة، أو الإسلام، انتقد كانداماالانكارا ذلك التاريخ في ما يتعلّق بحكم ملك ربما حكم في النهاية بعد قرن من الزمن. لكن قوائم الأسر الحاكمة الراخينية المرتبطة «بعواصم» متعاقبة غير نهائية وتتسم بفوضى عارمة (Candamalalankara 1931: 270–88 passim). أما بالنسبة للوصول المبكّر للإسلام إلى أراكان، فإنه يتوقّف على نقاش توسّع الإسلام في خليج البنغال على العموم، ولا يمكن أن ينفصل عنه (Eaton 1993).

إن نظرية الأصل المختلط هي الرأي الأشهر بشأن أسلاف الروهنجيين؛ وتنصّ على أن «الروهنجيين يُرجعون أصلهم إلى العرب، والمغاربة، والأتراك، والفرس، والمغول، والباتان، والبنغاليين» (Ba Tha 1999 [1963]: 43). ويبدو أن هذه النظرية المختلطة والمشوّشة تجمع ببساطة سلسلة من الأسماء «العظيمة» الإيحائية، وبعضها مثير لمشكلات -بحدّ ذاته- بسبب تعدّد المعاني والاستعمالات. فمصطلح «مغاربة» (Moors) تسمية أجنبية. وكان الأوروبيون أول من استخدمه للإشارة إلى المسلمين المتحدّرين من أصول عربية وآسيوية، واستخدمه الهولنديون لاحقاً للإشارة إلى المسلمين البنغاليين. وهو يتحدّى خيال إنشاء أي ارتباط عرقي ذي مغزى بين مصطلح «المغول» (Mughals)، الذي يشير نظرياً إلى شعب متحدّر من المغول الترك (Turco-Mongol) وأراكان، ما لم يركّز المرء على حادثة واحدة لنفي حاكم البنغال شاه شجاع إلى أراكان سنة (1660–61). ويشير مصطلح «باتان»، وهو اللفظ الهندوستاني لكلمة بشتون، إلى الأفغان على العموم، وذلك رهان أكثر احتمالاً على أسلاف المسلمين في أراكان. فبعد فرار المحاربين الباتان من البنغال في أعقاب الفتح المغولي، أصبح هؤلاء من أوائل المرتزقة لدى ملوك راخين لقتال المغول ومنع تقدّمهم وتوسّعهم نحو الشرق.

ذكر كتّاب روهنجيون آخرون أن الروهنجيين متحدّرون من الحضارة الهندوسية البوذية لفيسالي التي اعتنقت الإسلام. ولإثبات ارتباط في النسب، أشاروا إلى قرب لغتهم من نقوش لغة سلالة تشاندرا في القرن الثامن. وكلاهما في الواقع من اللغات الهندية الآرية، بالنظر إلى أن لغة النقوش هي السنسكريتية، واللغة التي يتكلّمها المسلمون في شمال أراكان لهجة من البنغالية الشيتاغونغية. ويعكس

إدخال النقوش والآثار المكتشفة في الرواية الروهنجية تصوّر فيسالي باعتبارها موقعاً قديماً عظيماً في تمثيل الماضي من قبل الراخينيين البوذيين أيضاً. ولا شكّ في أن فترة فيسالي بمجملها حجر أساس للهوية التاريخية لأراكان، وقد أصبح عدد من المكتشفات البارزة، مثل التماثيل والنقود، انعكاساً رمزياً بل أيقونياً للفخر الوطني. وعن طريق الادّعاء بأن شعب فيسالي هو سلف الروهنجيين، فإن التفسير الروهنجي يؤكّد أن أجداد المسلمين اليوم عاشوا في أراكان قبل الراخينيين البوذيين، الوافدين إلى البلد، والذين ينحدرون من البورميين التيبتيين لغوياً وعرقياً.

ويجمع التعبير الأحدث عن الهوية الروهنجية النظريتين في نظرية واحدة:

الروهنجيون متحدّرون من الهنود الآريين الذين اعتنقوا الإسلام في القرن الثامن، ويشكّلون عرقياً مزيجاً من العرب (788–810 ميلادي) بالإضافة إلى الفرس (700–1500 ميلادي) والبنغاليين (1400–1736 ميلادي) والمغول (1600 ميلادي). لذا فإن الروهنجيين عرق من المجموعة العرقية لاتحاد ميانمار ويعيش معظمهم في ولاية راخين، ولم يفدوا أثناء الحكم البريطاني (NDPD 2012:2).

يجد المرء أن تلك المعلومات ذات طبيعة عامة جداً، أو يمكن أن يخمّن المرء أنها مستكملة لتتلاءم مع إطار زمني صارم. ولا يعترف بالمدخلات الديموغرافية البنغالية إلا في أواسط القرن الثامن عشر، من دون الفترة الاستعمارية الذي اشتُهرت فيها.

تدّعي ما تراه الخرافة الوطنية الروهنجية أيضاً الارتباط بمختلف مجموعات النخب الإسلامية المرموقة، التي ازدهرت في البلاط والنظام الإداري في العصر الذهبي لمراوك يو. ويمكن من دون شكّ استحضار الدور التاريخي الذي لا يمكن إنكاره لهذه النخبة ضمن تاريخ المسلمين في أراكان، لكن ارتباطات النسب بينها وبين غالبية المسلمين المعاصرين ضعيفة جداً[15]. فالمسلمون في أراكان اليوم سكان

(15) ثمة وجه من الأوجه المعروفة قليلاً عن حياة المسلمين في أراكان قبل الاستعمار وفي أوائل الفترة الاستعمارية، وتشكل دراسة طبقة المسلمين المتعلّمين الذين عاشوا في مراوك يو أمراً مرغوباً لكنه ناقص. ومن المرجّح أن يكون للمسلمين المثقّفين والمتعلّمين الذين يتحدّثون لغتين دور رئيس في تقديم المعلومات عن أراكان إلى البريطانيين أوائل الفترة الاستعمارية. وقد أنهكت نخب مراوك يو، البوذية أو المسلمة،

ريفيون من المزارعين الذين يضمّون طبقة صغيرة من التجّار والمهنيين. وتوحي المصادر التاريخية بصورة بسيطة وواضحة نسبياً، بأن أصول معظم المسلمين في أراكان ترجع إلى جماعات البنغاليين التي رحّلها الملوك الراخينيون، وأعادوا توطينها في وادي كالادان بين القرنين السادس عشر والثامن عشر (Leider 2004; van Galen 2008). ومن بين آلاف الراخينيين الذين فرّوا من أراكان إلى البنغال بسبب الاضطهاد الضريبي والسخرة التي فرضها البورميون أواخر القرن الثامن عشر، ثمة مسلمون أيضاً ولكن لا يمكن تخمين نسبتهم المئوية. وقد اندمجوا بسهولة تفوق اندماج الراخينيين في المجتمع في شيتاغونغ التي جاؤوا منها من قبل (Van Schendel 1992: 31). وربما عاد الكثير إلى راكان في أعقاب الاحتلال البريطاني سنة 1825، لكن ليس هناك مصادر إحصائية عن عودة البوذيين أو المسلمين. وتلاحظ المصادر البريطانية تدفّقاً مستمراً ومتزايداً للبنغاليين من شيتاغونغ إلى أراكان في أعقاب سنة 1825؛ لأن الرواتب والإيرادات أكثر ارتفاعاً هناك. وبلغت الهجرة، الموقّتة والدائمة، ذروتها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، واستمرّت حتى ثلاثينيات القرن العشرين. ولإيضاح النقطة الواردة أعلاه، ومناقشة النسبة المئوية للمسلمين بين عموم السكّان، وفهم مشكلة النموّ الديموغرافي، فإن على المرء العودة إلى مصادر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

أول الكتّاب البريطانيين المهمّين عن أراكان هو أرثر ب. فاير. ويمكن أن يطلق عليه، حتى اليوم، أنه من أفضل المطّلعين، بعد أن تعلّم اللغة، وشغل منصباً إدارياً في أراكان بين سنتي 1841 و1846 وعيّن مفوّضاً لأراكان بين سنتي 1849 و1852. وهو لم يتعامل مع تاريخ أراكان تعاملاً منفصلاً عن تاريخ ما تبقى من البلد في كتابه «تاريخ بورما» (1883)، وإنما كان له تأثير هائل على كتابة التاريخ المحلّي نفسه؛ إذ إنه بدأ كتابة أهمّ سجلّ تاريخي لراخين، «نغا مي رازاوان» (1846). لكن لم تكن كتابة نغا مي نفسه الأكثر تأثيراً، للأسف، بل تفسيرها من قبل فاير، ولا سيما اختيار الحوادث التي اعتبرها موثوقة، وبالتالي اكتسبت مكانة تاريخية. إذاً يجب ألا يكون المرء أقل انتقاداً لفاير من المؤلّفين الآخرين. مع ذلك، يجب اعتبار فاير كاتباً يُعتمد عليه.

بسبب تراجع المملكة في القرن الثامن عشر. وأخيراً استؤصلت النخبة الحاكمة في بلاط راخين، ورحّلت من قبل الحكّام البورميين في أعقاب سنة 1785.

وعندما قدّم فاير للمقيمين في البلد كتابه «قصّة أراكان» (1841)، ذكر أن «الكولاس أو المسلمين» يشكّلون (15٪) من إجمالي السكان.

تلك إشارة جديرة بالثقة أكثر من تقرير باتون السابق الذي نُشر سنة 1828، وذكر أن نسبتهم المئوية تبلغ (30٪). وقد كرّر باتون تقدير روبرتسون سنة 1826، عندما كانت معلومات البريطانيين عن البلد لا تزال ناقصة جداً (Robertson 1853: 33; Paton 1828). وفي 1841، أصبح في متناول البريطانيين إحصاءات أكثر تفصيلاً. ويمكن التوفيق بين أرقام المؤرخ كُمستوك (Comstock) المعاصرة والمثيرة للحيرة قليلاً، وهي أرقام مستمدّة من أربعينيات القرن التاسع عشر، مع نسبة الـ(15٪) التي قدّمها فاير (Comstock 1847: 224، 228، 255). لكن ما يزال ثمة مجال للنقاش بشأن عدد المسلمين في أراكان ونسبتهم المئوية قبل الهجرة الشيتاغونغية أواخر القرن التاسع عشر، إذ كان لدى الباحثين فكرة ناقصة عن إجمالي سكّان أراكان عندما غزتها ميانمار وحجم الهجرة والعودة اللاحقة. وتتباعد المصادر وتوحي بتفسيرات واسعة الاختلاف. ولنأخذ المعلومات التالية الموجودة في تقرير إنجليزي يستند إلى معلومات شفهية ويعود إلى سنة 1777. فهو يذكر أن ثلاثة أرباع سكان أراكان بأكملهم يتكوّنون من بنغاليين مرحّلين أو متحدّرين من بنغاليين مرحّلين (Leider 1999).

من ناحية أخرى، يشير إحصاء السكّان لسنة 1869 إلى أن إجمالي السكان يبلغ (447،957)، وقد صنّف (24،637) منهم بأنهم «محمديون»، مما يعني أن المسلمين يشكّلون (5٪) فقط من إجمالي السكّان (British Burma/ Foreign Department 1871). وفي حين أن من المعقول افتراض وجود مغالطة كبيرة في السجلات السابقة، فإن المرء يتساءل، عند أخذ النسبة المئوية التي أوردها فاير في الحسبان، إذا كان عدد السكّان المسلمين في أراكان متراجعاً، أو إذا كانت مثل هذه الاختلافات الكبيرة ناجمة عن اختلاف طرق تصنيف السكّان.

كتب فاير أيضاً، على غرار كثير من الكتّاب الذين سبقوه ولحقوه: إن مسلمي أراكان «ينحدرون من البنغال» ويبدو أن أسلافهم أرسلوا عبيداً إلى أراكان عندما

كان ملوك راخين يسيطرون على أنحاء من البنغال (Paton 1828; Phayre 1841; Comstock 1847; Tickell 1854; Robinson 1871)[16]. وثمة أدلّة تاريخية كثيرة، من البرتغاليين أولاً، ولكن من مصادر هولندية بالدرجة الأولى، تؤكّد ذلك، لأن الهولنديين كانوا منخرطين كثيراً في تجارة العبيد في خليج البنغال في القرن السابع عشر (van Galen 2008). وتؤكّد المصادر الإنجليزية والبنغالية أن الغارات وأعمال الترحيل استمرّت حتى وقت متقدّم من القرن الثامن عشر، على الرغم من تراجع قوة ملوك راخين (Ghosh 1960). ويتجنّب الكتاب الروهنجيون تصوير تاريخ المسلمين في أراكان بمثابة تاريخ لجموع مرحّلة أعيد توطينها. ومع ذلك فإن الترحيل كان جانباً معروفاً من جوانب التوسّع الإقليمي والصعود السياسي، ومعهود في السياسات الملكية في جنوب شرق آسيا لاستكمال القوة العاملة المحدودة. وكان كثير من المسلمين الأعضاء في نخبة بلاط مراوك يو في القرن السابع عشر، الذين عملوا حرساً في القصر، أو إداريين، أو خدماً ملكيين، أو مخصيين أو شعراء، ممن ألقي القبض عليهم ورحّلوا. ومع أنهم تمتّعوا بالعيش في أوساط النخبة، فإنهم كانوا سجناء في قفص ذهبي (d'Hubert 2010; d'Hubert and Leider 2011). وتحمل الإشارات إلى هذه النخبة الصغيرة السابقة للاستعمار، شيئاً من المكانة التي لا يمكن إنكارها، لكنهم عديمو الفائدة، كما ذكره أعلاه، في تفسير تطوّر المجتمع المسلم في شمال أراكان في القرن العشرين. وتعدّ مسألة الأصول بسيطة جداً عندما يتعلّق الأمر بالمسلمين الكامان في جزيرة رامري. ويُرجع الكامان أصولهم إلى عدة مئات من أتباع شاه شجاع، وحرّاسه، وخدمه عندما اضطر إلى اللجوء إلى أراكان سنة[17].

لا بدّ من ملاحظة وجيزة تتعلّق بالتجار الهنود المسلمين. فقد كان لهم -بلا ريب- دور مهيمن في تجارة أراكان الساحلية والبحرية. وتنافسوا مع البرتغاليين لكسب حظوة في بلاط راخين في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتوحي

(16) «لم يكونوا من الموغ (Mock) الذين اعتنقوا الإسلام، ولكنّ مسلمون مخلصون جُلب أسلافهم إلى المقاطعة من البنغال. ويفترض أنهم جُلبوا بمثابة عبيد عندما كانت أراكان مملكة مستقلّة (...) ولا يزال كثير من الموغ المسلمين يحتفظون بلغة أجدادهم وعاداتهم، وكثير منهم تماهوا فعلياً مع السكان المحليين. لكنهم جميعاً اعتمدوا أسلوب اللبس والعادات المتبعة في البلد» (Robinson 1871: 79).

(17) قُتل شاه شجاع بعد أشهر عدة من مجيئه عندما أحرق رجاله القصر الملكي، لكن فشلت مؤامرة الإطاحة بملك أراكان. ووفقاً للتقاليد الشفهية، أعيد توطين الناجين من الثورة التي أخمدت في رامري.

المعلومات القليلة المتاحة بأنهم سبقوا منافسيهم الأوروبيين واستمروا بعدهم. لكن تجارتهم لم تصل البتة إلى حجم عظيم الأهمية، عندما توضع في سياق الشبكة التجارية لمصادر خليج البنغال. وفي أوائل الفترة الحديثة، جاء التجار المسلمون الذين تاجروا مع أراكان من سورات، وبوليكات، ومسولیباتام، والبنغال. وكتب فالتر فان شوتن، وهو طبيب هولندي ترك بعض الأوصاف المفصّلة عن أراكان في نحو سنة 1660: إن قليلاً من هؤلاء التجّار مولود في البلد (Schouten 1727: 94، 258). ويستبعد ذلك وجود قاعدة أعمال مهمّة للمسلمين المحليين، لكن لا يستبعد وجود مجتمع محلي تجاري متواضع[18].

لا يدّعي الروهنجيون المسلمون أن لديهم أسلافاً راخينيين أو بورميين، ربما على الأرجح لأن ذلك لا يحمل المكانة نفسها لجمهور المسلمين التي يحملها ادّعاء أسلاف عرب. وينكر الراخينيون البوذيون على العموم، بحماسة شديدة، أن «عرقهم القومي» مخلوط بدم هندي. ويلاحظ إنريكز أن «من حسن الحظ أنهم لا يتزاوجون كثيراً مع الشيتاغونغيين»، لكن إحصاء سكان الهند خلص إلى أن نصف زيادة عدد المسلمين في بورما بين سنتي 1901 و1911 يرجع إلى التزاوج (Census of India 1911: 99; Enriquez 1922: 59). وعلى المرء أن يتذكّر أن كل ما هو معروف عن التعايش والتفاعل الاجتماعي للمسلمين الريفيين والبوذيين يتعلّق بالماضي الحديث لا البعيد، عندما كان التفاعل الاجتماعي مختلفا.

الهرميات الثقافية وتفسير التاريخ

ربما يكون تفسير تاريخ أراكان باعتباره تاريخ أرض إسلامية أساساً، القسم الأكثر إثارة للخلاف في القراءة الإسلامية لتاريخ راخين. نما النفوذ الإسلامي في أراكان إلى حدّ إنشاء ولاية إسلامية تابعة بدءاً من سنة 1430. واستمر حكم المسلمين ونفوذهم في أراكان مدّة تزيد على (350) سنة، إلى أن غزاها البورميون واحتلوها سنة 1784 ميلادية (Ba Tha 1999 [1963]: 2).

(18) يمكن أن يتذكّر المرء أن أول دليل صلب على وجود تاجر أجنبي يعيش في أراكان هو النقش الموجود على حجر واريتاونغ فايا (A. 39) في سكاراج 757 (1495 ميلادي) والمكتوب بالفارسية.

تشكّل البنية الدينية، والأدب المحلّي، والروايات الأجنبية مجموعة صلبة من الأدلّة التاريخية، التي تثبت الشخصية البوذية المهيمنة لأراكان. فغالبية السكّان تتماهى مع التقاليد الدينية الباليوية وتشترك في عديد من المعتقدات والممارسات البوذية في جنوب شرق آسيا القاريّة (Shwe Zan 1995; de Mersan 2005). ولا يمكن فصل تطوّر هذا التفسير عن نظام الهرميات الثقافية أثناء الفترة الاستعمارية. فقد اعتبر المغول أن حضارتهم الإسلامية متفوّقة على حضارة غير المؤمنين في ممالك جنوب شرق آسيا البوذية (Sarkar 1907; Nathan 1936). ونقل البريطانيون تصوّر تفوّق الثقافات الهندية إلى تفسيرهم لآثار بورما وتاريخها. وقبل أن يجلب الغرب المستعمر الحداثة في العصر الصناعي، كان ثمة عملية تسمّى إضفاء الثقافة الهندية، قد خصّبت أرض جنوب شرق آسيا، ومكّنت ظهور حضارات مدنية مثل مدينتي بيغو وباغان في بيو وما خلفها. وفي إحصاء سكّان الهند نقرأ: «يدين البورميون والمونيون بتطوّرهما من عدد من القبائل الصغيرة، والجامحة، والمتناثرة، وغير الموحّدة، والبدوية إلى ممالك متماسكة للمستعمرين الهنود الذين استوطنوا في عديد من المستوطنات الصغيرة في وادي إيراوادي» (Census of India 1911: 74).

هيمن أنموذج التأثير الحضاري المتفوّق القادم من الغرب على التفسيرات التاريخية في جنوب شرق آسيا وبورما، ولا سيما في أراكان لأنها تحدّ البنغال. واعتُبر صالحاً على وجه الخصوص في ما يتعلّق بالتأثير الثقافي للإسلام. وقد فسّر كوليس، وهو قاضٍ بريطاني وكاتب غزير الإنتاج، تاريخ أراكان، مستلهماً نهجه الأنموذجي. ففي مقالته الشهيرة «مكان أراكان في حضارة خليج البنغال (دراسة النقود المعدنية والعلاقات الخارجية)»، يوضح كوليس أن المملكة كانت عظيمة عندما خضعت لتأثير الهند المسلمة، على الرغم من أنها تراجعت عندما ساد النفوذ الشرقي في بورما. ويشير اختيار المقالة لإعادة النشر في مطبوعة الذكرى الخمسين لجمعية بحوث بورما سنة 1960 إلى أن أفكار كوليس كانت لا تزال مهمّة وتتمتّع بسلطة في بورما ما بعد الاستعمار (Collis 1960 [1925]).

كان الفهم الاستعماري للتاريخ مشبعاً بفكرة ظهور الأعراق وخبوّها. وفي ظلّ الحكم الإمبريالي البريطاني، وُعد الهنود المتفوّقون بدور مسيطر مرّة أخرى. ويعرض إحصاء سكّان الهند وجهة نظر الإداريين البريطانيين لمستقبل «العرق» البورمي: «في ضوء الميل السائد للافتراض بأن البورميين -باعتبارهم عرقاً- مقدّر عليهم الهلاك بسبب الغارات الحديثة للهنود على المقاطعة، فإنه يبدو من الضروري التشديد على وجود البورميين باعتبارهم عرقاً قوياً ومنتشراً يعود إلى الهجرة الهندية (Census of India 1911; 74–5).

في مقابل هذه الآراء، ليس من المفاجئ ألا ترى السلطات البريطانية في أوائل القرن العشرين في تنامي هجرة الشيتاغونغيين إلى أراكان مشكلة يجب أن تديرها الولاية. ويتأمّل إنريكز في العواقب المحتملة للهجرة الشيتاغونغية في إحدى رواياته عن رحلاته: «في القسم الشمالي الشرقي من أكياب في مديرية بوثيدازنغ، يتكوّن السكّان الآن بصورة رئيسة من المستوطنين الشيتاغونغيين الدائمين. وقد انتشرت أعداد كبيرة من الشيتاغونغيين في البلاد للعمل مؤقّتاً في موسمي الحصاد والقطاف. ويميل الأراكانيون اليوم إلى التركز في مديرية كياوكتو. ويعتقد بعض الأشخاص أنهم سيغرقون بالضرورة بمرور الزمن. ويعتقد آخرون أنهم سيحافظون على وضعهم» (Enriquez 1922: 59).

قبل عشر سنوات من كتابة إنريكز، ساد رأي بأن الراخينيين البوذيين ليسوا معرّضين للخطر فحسب، وإنما سيختفون في نهاية المطاف أيضاً. ورأى مؤلّف إحصاء سكّان الهند، من دون اكتراث، أن الراخينيين سيختفون «عن وجه بورما» وتوقّع انقراض الراخينيين بسبب الهجرة البنغالية: «إذا استمرّت الاتجاهات الراهنة، فإن وجود أراكان، باعتبارها فرعاً منفصلاً من المجموعة العرقية البورمية، سيتوقّف بمرور الوقت»(Census of India 1911: 190، 257). وأوجز سمارت، سنة 1917: «الهجرة تحدث على نطاق واسع جداً منذ سنة 1879 و... قد اجتاح المهاجرون الشيتاغونغيون مدن ماونغدو». وبما أن الحكّام البريطانيين اعتبروا الراخينيين «خاملين ومسرفين»، فقد اعتُبرت الأمور سائرة في منحاها الطبيعي (Smart 1917: 87). ولم تصبح الهجرة الهندية مسألة ملحّة للحكومة إلا بعد أن ثارت أعمال الشغب

المناهضة للهنود في يوليو (تموز) 1938 (Maung Htin Aung 1967: 273–4; Baxter 1941; Aung Thwin 2013: 218–9). وربما وجد كوليس وباتاشاريا، في التزايد السريع للنسبة المئوية للمسلمين البنغاليين في أراكان، توكيداً لتفسيراتهما التاريخية لتاريخ أراكان. وفي مقالة صادرة سنة 1927 بعنوان «التأثير البنغالي في أراكان»، خلص باتاشاريا إلى أن أراكان كانت «تحكمها أسرة بنغالية» إذ إنه منذ القرن الخامس عشر «أصبح الملوك الأراكانيون محمديين في أفكارهم على الرغم من أن دينهم بوذي».

في أعقاب الإقامة المفترضة للملك مان سو موان في بلاط السلطان في البنغال أوائل القرن الخامس عشر؛ وهي أسطورة اعتُبرت واقعة تاريخية على نطاق واسع بعد أن صاغها المؤرّخ نغا مي، كتب بهاتاشاريا (1927: 141–2، 144) عن أنه، «بُني مسجد (...) وأقيم بلاط على طراز بلاط غاور ودلهي، وأصبح الخصيان والعبيد يؤدّون دورهم كما في أي عاصمة إسلامية». وقد التقط المؤرّخون المسلمون البنغاليون والباكستانيون والبنغلادشيون، بعد ذلك النقاش الأكاديمي حول أثر البنغال الإسلامي في أراكان قبل الفترة الاستعمارية، وأنتجوا بيانات أكثر دقّة، لكنها لم تكن حصينة أمام مشكلة التقويم الثقافي المشار إليها هنا (Siddiq Khan 1936–7; Habibullah 1945; Sharif 1966; Tarafdar 1966; Ali 1967; Serrajuddin 1986; Qanungo 1988). وفي أعقاب استعراض فان غالن للمصادر الهولندية في القرن السابع عشر، وعمل دوبرت اللغوي الخاص بشعر الأول، أصبح لدى الباحثين اليوم فهم أكثر حنكة للعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية بين البنغال وأراكان (van Galen 2008; d'Hubert 2010). وهكذا يمكن مراجعة النُهُج شبه المبتذلة المتبعة في الفترة الاستعمارية، والتشكيك فيها في ضوء التصوّر الأكثر تعقيداً لمملكة راخين، التي كانت فيها طبقة الراخينيين البوذيين تعتمد على عديد من الإداريين والخدم المسلمين الهنود، والمرتزقة المسيحيين اللوسو آسيويين، والتجّار، وممارسي الطقوس الهندوسية البنغاليين، للمحافظة على توازن صعب، والدفاع عن ثقافتهم الدينية، وتراثهم، وقيمهم.

مهمّة المؤرّخين لمن يحتاجون إلى التاريخ

كيف ترتبط البحوث الأكاديمية الجارية في تاريخ أراكان وثقافتها بتقصّي الهويات المتنافسة والتاريخ المهجّن للروهنجيين؟ التاريخ إلهام، وهو يجمع المجتمعات معاً، لكنه لا يعلّم دروساً، لأن على الناس في الحاضر أن يواجهوا تحديات اليوم في ضوء العالم الذي يريدون بناءه غداً. وسرعان ما سيجد من يتظاهرون بأنهم يستمدّون الإلهام من الماضي فقط أنفسهم أسرى الأصولية العقائدية. أما البحث التاريخي فإنه يمكن أن يقدّم التوجيه، والأفكار الفريدة التي تبيّن من أين جاء الناس وكيف يحدّدون أنفسهم في الزمان والمكان. والدراسة الإضافية للتاريخ ضرورية لأنها تقود إلى صوغ أسئلة جديدة، وتؤدّي -على ما يؤمل- إلى مزيد من المناقشات الشفّافة. وكما تحاول هذه المقالة أن تظهر، فإن التاريخ القديم الطراز يعمل بمثابة مقلع حجارة لبناء الهويات والشرعية في أراكان. ومع ذلك، فإن قراءة المجتمعات المختلفة للماضي تحوّل التاريخ إلى ميدان قتال خطابي حيث يريد كل طرف أن يحقّق الأفضلية في الرواية المريحة أخلاقياً. هل يستطيع المؤرّخون أن يقوموا بدور الحكّام المهنيين في هذه النقاشات؟

تجدر الإشارة إلى أن المؤرّخين ليسوا قضاة أخلاقيين ولا يدعون إلى قيم معيّنة. مهمّتهم تسليط بعض الضوء حيث توجد الظلمة، ورفع الحجب التي تغطّي المجهول بقدر ما تسمح المصادر. ولمن يسقطون اضطرابات الحاضر على الماضي، يظهر المؤرّخون الغيرية المشوّشة للماضي البعيد. وعلى التاريخ أن يبلغ من يرون العرق، والأمّة، والدين أركاناً فريدة للهوية، أن يبتعدوا عن صوغ الأصناف الجوهرية. فالتجارب التاريخية مائعة وكذا تفسيرها. والمجتمعات المختلطة تدعو إلى قواعد للتعايش. ولا يمكن صوغ مثل هذه القواعد إلا بتجاوز في إطار التفاوض السياسي، وممارسة فن الممكن مع الاحترام الضروري للمعايير القانونية، بعيداً من الروايات التي تدعم الاعتقاد، والثقة، والهوية داخل المجتمع. وفي حين أن النقاشات التاريخية ضرورية وممارسة اجتماعية مفيدة جداً، فإن الروايات نفسها لا تقدّم بالضرورة النماذج للعمل السياسي. فهل يمكن التوسّط بين الروايات المتنافسة؟

الخاتمة

إن التاريخ المهجّن للروهنجيين محاولة لتوحيد تعدّد المسلمين في أراكان في رواية مفردة؛ لإثبات وجود هوية روهنجية مميّزة. وبأخذ الرواية التاريخية الروهنجية على محمل الجدّ، أظهر هذا التقصّي أن الحركة الروهنجية أنتجت خطاباً تاريخياً توحيدياً في غضون بضع سنوات من ظهورها، لمحاكاة الخطاب القومي البوذي المهيمن بشأن أراكان ومنافسته، وتقديم الدعم الأيديولوجي للمشروع السياسي لإقامة نطاق مسلم مستقلّ ذاتياً في شمال أراكان. وقد تأثّر إنشاء هذا المشروع بالشروط الاستعمارية للهرمية العرقية الدينية، ويماثل حصرية الخطاب الراخيني البوذي. ويشكل الخطاب التاريخي الروهنجي مصدراً لإضفاء الصلاحية على الهويات الإسلامية بغية إقامة تماسك اجتماعي، ومواجهات بطولية، بالإضافة إلى تحفيز النضال السياسي. وهو خاضع للنقد ويمكن رفضه باعتباره «حقيقة نسبية» تحاول التلاؤم مع المحادثات العالمية والمحلية. ومع ذلك فإنه تعبير عن الهوية الاجتماعية لجماعة ما، ومن الخطأ إغفال قوّته الاجتماعية وأهمّيته السياسية. وفي حين أن الكتّاب الروهنجيين تصوّروا الماضي الإسلامي لأراكان بألوان متوهّجة، على غرار البوذيين الذي يفخرون بتاريخ راخين براي، فإن الطائفة الإسلامية المتصوّرة في الحاضر لا تزال افتراضية أكثر مما هي واقعية، وهي مشروع قومي في جوهره تغلب عليه ضرورات تقارير وسائل الإعلام العالمية، التي حصرت تصوّرها بحالة التحوّل إلى ضحية.

في السياق الحالي للبؤس الإنساني، ومناقشات المواطنة، والتطرّف، والدعوات الموجّهة للحكومة لتعزيز الجهاز الأمني وإدارة العلاقات بين الأعراق، ربما يبدو التوسّط بين الروايات التاريخية المتباينة مسألة ذات أهمية ثانوية. لكنها ليست كذلك للمؤلّف. إنه يشكّل في الواقع تحدياً اجتماعياً وسياسياً كبيراً ضمن العملية التحوّلية لميانمار المعاصرة. ففي الوقت الراهن، لا توجد أرض مشتركة تتعايش فيها الطوائف في البيت الواحد الذي يدعى أراكان، حتى إذا قامت حكومة ميانمار بسجن كل مرتكبي أعمال العنف في سنتي 2012 و2013 كما يفترض بها من الناحية المثالية، وحتى إذا احترمت قوّات الأمن بعد إصلاحها مبادئ حقوق الإنسان، وأقيم

حوار لصنع السلام في أراكان. ربما تبدو مسألة الروايات التاريخية المتنافسة غريبة وغامضة للأجانب، لكن القصص المتباينة التي يستمد منها البوذيون والمسلمون هوياتهم، تؤثّر في الرؤى السياسية المتناقضة إلى حدّ كبير. ويبدو تخطيط مستقبل ولاية راخين كئيباً ما لم يوجد -على الأقل- وعي أكثر اتساعاً لأهمية ما يتعلّمه الناس، أو يدفعون إلى اعتقاده بشأن أنفسهم والآخرين.